المبحث الأول

البعث الاسلامى للمرأة

لا عجب ان قلنا أن الاسلام قد أعاد المرأة للحياة من جديد بعد أن أقبرت من خلال نظرة أولئك الوضعيين لها ، ومعاملتهم اياها ، ولسنا بحاجة الى اعادة ما ذكرناه آنفا ، أو لاقامة دليل على ما عنونا به هذا الموضوع ، فالدليل واضح وقائم وشاهد صدق على أولئك الوضعيين من خلال ما سنوه من قوانين ، ووضعوه من تشريعات بل ومن خلال ما حرفوه من شرائع السماء وادعوه زورا وبهتانا ـ ونسبوه لأنبيائهم ، والأنبياء منه براء ، ولا ضرر اذا أوردنا بعض دعاواهم وأفعالهم ، ثم بينا وجهة نظر الاسلام فيها ، سواء أكانت هذه الدعاوى وتلك الأفعال مما سبق ذكره ، فيدخل ايرادها تحت قول الله تعالى : « فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »(١) أو كانت وقائع ثابتة عليهم ولم يتطرق الحديث اليها فنعرضها ونورد موقف الاسلام منها ، ومن خلال ذلك يبين أن الاسلام قد أعاد هذه المولود المودود الى الحياة التى حرمت من أن تعيشها على أساس أنها مخلوقة الله تعالى شريكة آدم وجزء منه وأنيسة حياته ، ونور بيته ، وعماد أسرته وشجرته التى يستظل بظلها ويرعاها ، يأوى اليها من هجير الحياة ووهج مشاكلها وأحداثها فيجد عندها الظل ، والرى والمأوى ، والسكن بكل ما فى الكلمة من أبعاد الراحة والاطمئنان ، والستر والحماية والمودة والأمان وصدق الله العظيم : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »(٢) .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة الذاريات .
(٢) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

قرية ردها القرآن عنها :

لقد حـاول الوضعيون جميعا النيل من المرأة منـذ أن خلقت ، فوصفوها بأنها أساس الغواية ، ومدخل الشيطان الى الرجل ، وأنهـا هى التى أودت بالرجال جميعا الى الخروج من الجنة ، بما اقترفت يوم أن خلق الله آدم وأسكنه الجنة ، ذهب الوضعيون الى أن حواء كانت سبب غواية آدم وأن ابليس ـ اللعين ـ استمالها اليه ، واتخذ منهـا طريقا ليوقع بآدم فكان ما كان من الخروج من الجنة ...

ومن هنا انهالت عليها لعناتهم ، ووصمتها أقلامهم بأقذع ما يمكن أن يوصـم به مخلوق ، قالوا عنها ما قالوا مما عرضـناه فيما سـبق ووصلت مقولتهم الى الكتب التى نزلت على أنبيائهم ، فحرفوا هـذه الكتب ، وسطروها حسبما سولت لهم نفوسهم ، ولاتزال فعلتهم هـذه قائمة تشهد عليهم بما تحدثوا به عن أمهم ـ السيدة حـواء ـ عليهـا السلام ـ وعن كل من تناسل منها من بنات جنسها ... فجاء القرآن الكريم ينطق بالحق ، ويقول الصدق ، ويرسى قواعد الانصاف والعدل ويدفع عن السيدة حـواء ما اتهموها به ، واختصوها باقترافه ، ورد القرآن الكريم دعواهم هذه ردا قاطعا ، وسلك فى ذلك مسلكين :

أولهما : حدث القرآن الكريم عما كان من آدم وحواء عليهمـا السلام ـ وما أوقعهما الشيطان فيه حديثا مسندا اليهما ، وكلاهمـا مخاطب به وواقع تحت طائلته ، ولم يشر القرآن الكريم ـ فى حديثه عما كان من أمر الأكل من الشجرة ، والوسوسة الى أن ذلك كان بايعاز من السيدة حواء أو مشاركة فى الحض عليه والدعوة له .

وانما الذى أشار اليه القرآن هو أنها كانت مثلها مثـل آدم ـ عليهما السلام ـ مجنيا عليها من قبل الشيطان الرجيم ، ومرة أخـرى مثلها فى ذلك مثل آدم .

هذا ما حدث به القرآن الكريم فى أحد مسلكيه فى الحديث عن تلكم الواقعة التى جرت فى الجنة ... وسأعرض بعضا مما حدث به القرآن الكريم عن ذلك ، حتى يتضح الأمر ، ويبين الموقف ويثبت الدفاع القرآنى والانصاف الاسلامى للمرأة ...

يقول الله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ... »(١) .

والقرآن الكريم هنا يذكر الأمر كله مسندا الى آدم وحواء — عليهما السلام — باللفظ الصريح ، تارة بالاظهار ، وتارة باستعمال ألف الاثنين الضمير الذى يشتركان فيه من غير تقدم أحدهما على الآخر « لا تقربا .. فتكونا .. فأزلهما .. فأخرجهما .. » ما أروع أسلوب القرآن فى اظهار الحقيقة ... ودمغ أباطيل المدعين ...

ويقول الله تعالى أيضا محدثا رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تبعا له . مبينا الحقيقة الأكيدة مخبرا عما كان حين خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة ...

« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان

---

(١) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة البقرة .

عليهما من ورق الجنة وناداهما ربها ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »(١) •

والقرآن الكريم هنا قد سلك فى حديثه مسلكان يثبت أن آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ كانا متساويين فى الأمر كله ••• الأمر من الله تعالى ، والوسوسة من الشيطان ، وما تبع ذلك ••• « لا تقربا •• فوسوس لهما الشيطان •• وقاسمهما انى لكما •• فدلاهما •• وناداهما ربهما •• قالا ربنا ظلمنا أنفسنا •• »

أبعد هذا الأسلوب القرآنى الرائع يمكن أن تقوم قائمة لدعاوى المبطلين الوضعيين •

انه الانصاف القرآنى للمرأة التى طعنتها دعاوى أولئك وقتلتها وهى تسعى بينهم تحمل ما حاكوه لها من أثواب الخطيئة ••• ويأتى القرآن ببراءتها مما ادعوه ، وانصافها ورد ما سلبوه من حقوقها ومكانتها •••

المسلك الثانى الذى سلكه القرآن الكريم فى ابطال اتهاماتهم للسيدة حواء وبناتها من بعدها ، يتمثل فيما أورده الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى القرآن الكريم من آيات تتحدث عما كان من آدم ــ عليه السلام ــ وتبين أن الشيطان وسوس اليه ، وأن آدم قد أقبل على الأكل من الشجرة هو والسيدة حواء نتيجة وسوسة الشيطان اليه •••

---

(١) الآيات ١٩ ــ ٢٣ من سورة الاعراف •

كما أن الحديث القرآنى فى هذه الآيات قد أورد الوسوسة فى هذا الموضع من الشيطان الى آدم ، دون أن يورد القرآن ذكر السيدة حواء ، لا باسمها ولا بما يقوم مقام اسمها من الضمائر الظاهرة أو المستترة ...

فالوسوسة طبقا لما جاءت به هذه الآيات قد صدرت من الشيطان الى آدم ، وجاء ذكر آدم عن طريق ايراد الضمير المفرد المتصل — بصيغة الغائب — مع أن الضمائر التى سبقت قبله وتعود الى آدم كانت كلها ضمائر الخطاب ، وفى ذلك كما يقول البلاغيون لون من ألوان الالتفات البلاغى ، كما أن فيه من أساليب الحصر البلاغى ما يكاد يلمسه السامع ...

وفى ذلك ما فيه من دفع الدعاوى الباطلة — التى وجهها الوضعيون عن السيدة حواء أم البشرية وبناتها من بعدها — أولئك الذين حملهن الوضعيون جرم ما حاكوه ، ونسجوا خيوطه ، وألصقوه بأم الآدميين كلهم ...

ويزيد القرآن فى الرد والبيان والحجة والدليل ما يدفع دعاوى المدعين فيقرر القرآن مبدأ من أهم المبادىء العادلة فى مجال التجريم والعقاب .. « كل امرىء بما كسب رهين »(١) .

« كل نفس بما كسبت رهينة »(٢) .

« قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون »(٣) .

---

(١) من الآية ٢١ سورة الطور .
(٢) الآية ٣٨ من سورة المدثر .
(٣) الآية ٢٥ سبأ .

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » (١) ٠

هذه الآيات وغيرها تدمغ دعاواهم وتدفع عن الولود الودود كل ما يدعون ، ويسترون به عوراتهم الخلقية والفكرية ٠٠٠٠ وتدفع أيضا عن غيرها ممن يزعم الزاعمون أنهم قدموا أنفسهم تكفيرا عن خطيئة آدم أو غيره ٠٠٠

انها العدالة السماوية الحقة ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ٠٠٠

---

(١) الآية ١٥ من سورة الاسراء ٠

obeikandl.com